بين فن التاريخ وفن الحرب

٢ ـ خالد بن الوليـــد *

فى حروب الردة

للفريق طـــه باشا الهـاشمى

رئيس أركان حرب الجيش العراقى

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

٣ — أسباب الحروب :

مات رسول الله والاسلام لم يتمكن من قلوب جميع العرب الساكنين فى الجزيرة . وادعى بعض الرؤساء النبوة فى آخر أيام الرسول ، وارتد الكثير من العرب بعد وفاته .

والثابت أن الذين تمكن الاسلام من قلوبهم ولم يتزعزع ايمانهم هم المهاجرون والأنصار وقريش وثقيف والقبائل الساكنة بين المسجدين (المدينة ومكة) على ما يذكره الطبرى .

ولم يكن تأثير الردة فى القبائل على نمط واحد ، بل كان الأثر يختلف باختلاف العوامل ، وهى تتلخص فيما يلى : —

(ا) قرب المنطقة التى تسكنها القبيلة من المدينة أو بعدها .

(ب) علاقة القبيلة بالمدينة .

(حـ) قرب عهد القبيلة بالاسلام أو بعده .

ولقد ناقش المستشرق الطليانى لئونه كايتانى هذه العوامل فى كتابه « تاريخ الاسلام » (Annali del islam) فصنف العرب من حيث علاقتهم بحروب الردة الى خمسة أصناف ، فوضع فى الصنف الأول القبائل التى أسلمت منذ مدة طويلة وخضعت لسلطة المدينة خضوعاً تاماً ، وهى القبائل التى تسكن بالقرب من المدينة ومكة وفيما بينهما كجهينة ومزينة وبلى وأشجع وأسلم وهذيل وخزاعة وغيرها .

ووضع فى الصنف الثانى القبائل التى تعاقدت مع الرسول واشتركت فى المدة الأخيرة فى حروبه ، وقد كان فيها على اسلامها أقلية مختلفة تنتهز الفرص للتملص من سلطة المدينة ، ومن هذه القبائل هوازن وعامر بن صعصعة وطيء وسليم وخثعم .

ووضع فى الصنف الثالث القبائل الساكنة على حـــدود المملكة الاسلامية ، فخضعت هذه القبائل سياسياً لسلطة المدينة ، ودفعت الصدقات الى الرسول ، وفيها أكثرية تتحين الفرص للرجوع الى حالتها القديمة . ومن أخطر هذه القبائل بنو أســد وبنو غطفان وبنو تميم الساكنون فى مناطق نجد الغنية .

ووضع فى الصنف الرابع القبائل التى لم تخضع لسلطة المدينة ، بل اكتفت بارسال الوفود الى الرسول وتظاهرت بالخضوع له . فيها أقلية مسلمة ضئيلة تستند الى قوة المسلمين فى المدينة للاحتفاظ بمنزلتها . ومن أخطر هذه القبائل بنو حنيفة وعبــد القيس وأزد عمان وأكثر قبائل حضرموت واليمن . أوفد الرسول اليها عمالاً ليمثلوا الاسلام ، وليعلموا المسلمين أمور الدين .

أما القبائل التى وضعها فى الصنف الخامس فهى القبائل التى لم تسلم وكانت نصرانية أو مشركة . وهى القبائل الساكنة فى الشمال كبنى كلب وبنى تغلب وبنى غسان وقضاعة وتنوخ وبنى بكر . وبعض القبائل فى حضرموت واليمن .

ولكنى لا أجارى المؤرخ الطليانى فى تصنيفه هذا ؛ بل من الثابت أن تأثير الاسلام فى القبائل العربية كان يختلف باختلاف العوامل التى ذكرناها قبلاً ، والواقع أن الرسول لم يمت إلا وقد ظهرت حركة الردة فى القبائل ، فمنها من طلب إعفاءه من اعطاء الزكاة ، ومنها من امتنع من اعطائها ، ومنها من قدم رجلاً وأخر أخرى فى ذلك فأمسك عن الصدقة ، وأخيراً منها من ارتد وطرد عمال الرسول أو قتل المسلمين ومثل بهم .

وكان الرسول فى حياته قد حرض عماله فى اليمن على مقاتلة الأسود العنسى الذى ادعى النبوة واستولى على أكثر مقاطعات اليمن .

أما أبو بكر فرد الوفود التى أتت الى المدينة وطلبت منه أن يعفيها من إعطاء الزكاة ، وقال كلمته المشهورة « والله لو منعونى عقال بعير لقاتلتهم عليه » ولما وردت الكتب من أمراء الرسول

(*) وهو بحث فى قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل . « الرسالة »

تنبأ أبو بكر بأن الناس ارتدوا عامة وخاصة وأنهم تبسطوا بالتمثيل بقاديرهم .

٤ — قوات الفريقين :

١ — أهل الرّدة : إذا استقصينا الأخبار التي رواها الرواة توصلنا الى النتائج التالية :

(أولاً) لم ترتد القبائل الساكنة الى شرق مكة وغربيها وجنوبيها ، بل ظلت على الحياد غير ميالة إلى أحد الفريقين ، وهي قبائل كنانة وأزد وبجيلة وخثعم وعك وأشعر وحكم وغيرها .

(ثانياً) تأثر بحوادث الردة القبائل الساكنة الى شمال شرق مكة كهوازن وعامر بن صعصعة وجذيلة . أما بنو سليم فقد ارتد الكثير منهم ، بيد أن هذه القبائل جميعاً لم تشهر سلاحها في وجه المسلمين .

(ثالثاً) أما قبائل طي فانها لم تقرر الى أي جانب تميل ومع ذلك فان قسما قليلاً منها انضم الى جيش طليحة الأسدي مدة قصيرة

(رابعاً) وأما قبائل قضاعة الساكنة الى شمالي المدينة فانها شهرت سلاحها على المسلمين .

ومع ذلك لا يصح أن يقال إن هذه القبائل جميعاً ساعدت أهل الردة الذين ثاروا في وسط الجزيرة ، بل إن بعضها ظل في منطقته إما على الحياد وإما متردداً لا يحرك ساكناً ، وإما أنه طرد العمال الوفدين من المدينة في عهد الرسول .

لذلك لا يجوز اعتبار هذه القبائل من القبائل الساكنة في وسط الجزيرة التي حشدت رجالها وأغارت على ضواحي المدينة ، أو أنها تأهبت لمنازلة جيش المسلمين .

أما القبائل التي اشتركت في حروب الردة فعلاً فاليك بيانها :

(١) بنو فزارة وبنو غطفان الساكنون الى شرق المدينة على طريق نجد . فقد توافد رؤساء هذه القبائل الى المدينة وطلبوا من أبي بكر أن يعفيهم من الزكاة . ولما لم يجب طلبهم رجعوا فجمعوا رجالهم وتأهبوا لمباغتة المدينة .

(٢) بنو أسد الساكنون على منتصف الطريق التي بين الحجاز ونجد الى جنوبي جبل شمر . ويزعم الرواة أن طليحة بن خويلد الأسدي ادعى النبوة في حياة الرسول وجمع رجاله في السميراء .

ولما توفي الرسول وامتنعت القبائل من إيتاء الزكاة سعى الى جمع القبائل حوله ، واقترح عيينة بن حصن الفزاري ترك المنازعات بين بني أسد وبني غطفان وعقد حلف بين بني فزارة وبني غطفان وبني أسد .

لبى بنو فزارة هذه الدعوة واتحدوا مع بني أسد ، وكذلك البعض من بطون طي أيضاً انضم الى طليحة ، حتى أن رئيس جديلة بن طي ، ثمامة بن أوس ، جمع خمسمائة رجل وانضم الى بني أسد .

(٣) بنو تميم الساكنون في نجد في منطقة القصيم .

وتتألف هذه القبيلة من عدة بطون . ولما بلغها نعي الرسول امتنع أكثر بطونها عن أداء الزكاة . وكان الاختلاف قد دب فيما بينها ، ولما ظهرت سجاح من شمالي الجزيرة بجموعها من تغلب مدعية النبوة ، ودخلت حتى بني تميم لأنها كانت تمت اليهم بنسب ، التف حولها بعض من تميم وعلى رأسه مالك بن نويرة . ويزعم الراوي سيف بن عمر أنها كلفت مالكا بالمسير معها نحو المدينة للهجوم على أبي بكر . وكان البعض من بطون بني تميم لم يرتد فالتجأ اليه المسلمون الهاربون من البطون الأخرى فقاتل سجاحا ومن معها من بني تميم ومنعها من التقدم نحو المدينة . والرواة يزعمون أنه انتصر عليها وعلى حلفائها من بني تميم وألجأها الى مغادرة ديار بني تميم والذهاب الى مسيلمة الكذاب .

(٤) بنو حنيفة الساكنون في اليمامة . ادعى رئيس هذه القبيلة مسيلمة النبوة فآمن بنبوته جميع بني حنيفة . ويظهر أن دعوة الاسلام لم تنتشر فيها وكان معظمها مشركا . فلما ادعى مسيلمة النبوة آمنت بنبوته . وهي ولا ريب من أخطر القبائل التي اشتركت في حروب الردة وقاتلت المسلمين قتالاً عنيفا . وذاق المسلمون الأمرين في حروبها . ويزعم الراوي سيف بن عمر أن جيش بني حنيفة المحارب بلغ أربعين ألفاً .

ومن العسير معرفة قوات هذه القبائل التي اشتركت في المعارك ، والواضح أن قبائل غطفان وفزارة التي حاولت مباغتة المدينة حتى اضطر أبو بكر إلى مقاتلتها كانت دون القبائل شأناً . ولعل القوات التي جهزتها لم تزد على الفي رجل .

أما القوة التي استطاع طليحة أن يجهزها ويقاتل بها جيش المسلمين فكانت تربو على أربعة آلاف مقاتل ، وانضم خمسمائة

رجل من جديلة طيء وسبعمائة فارس بقيادة رئيس بني فزارة عيينة بن حصن .

أما بنو تميم فلو اتفقت بطونها وقابلت جيوش المسلمين لبلغت قوتها زهاء عشرة آلاف مقاتل ، غير أنها لم تتفق فيما بينها ، بل حارب بعضها بعضاً ، ولما وصل خالد بن الوليد بجيشه إلى ديار بني تميم كانت البطون قد تفرقت .

أما بنو حنيفة فكان جيشهم من أقوى الجيوش التي حاربت المسلمين ، ومع أن سيفاً يزعم أن قوتهم بلغت أربعين ألفاً ، بيد أننا لانميل إلى اعتقاد صحة روايته ، ولعل قوة جيش بني حنيفة لم تزد على خمسة عشر ألف مقاتل .

والذي جعل الرواة يبالغون في تقدير جيش بني حنيفة هو وعورة المنطقة التي حارب فيها المسلمون ، والحقيقة أن أرض اليمامة أرض وعرة فيها وديان وشعاب وجبال وعقبات وثنايا . والذي زاد في مناعة الأرض القرى المحصنة بالأسوار والحدائق المسورة بالأحجار المكدسة شأن الكثير من قرى العارض والسدير في بلاد نجد .

ب . المسلمون :

جهز الرسول جيش أسامة قبل وفاته بمدة قليلة وكان يقصد إيفاده إلى الشمال . واجتمع الجيش في الجرف في شمالي المدينة ، ولما علم بمرض الرسول أجل حركته

وبعد وفاته أوفده أبو بكر لينفذ الخطة التي رسمها له الرسول في حياته . ونصح بعض الصحابة أبا بكر أن يبقيه لكي يعتز به بعض الاسلام وأراد بعضهم تبديل قائده ، بيد أن الخليفة لم يجب طلبهم ، ولم يرض أن يبدل ما قرره الرسول . وليس لدينا معلومات موثوق بها عن قوة هذا الجيش ، لأن المؤرخين القدماء جريا على عادتهم ، بحثوا في قائده والأوامر الصادرة اليه ، والغاية المتوخاة من إيفاده وغير ذلك ولم يذكروا مقدار قوته .

وإذا تأملنا في سبب إيفاده ، ظهر لنا أن قوته يجب أن تكون كافية . وسبق أن جهز الرسول جيشين لهذه الغاية ذاتها وهما : جيش جعفر بن أبي طالب الذي قاتل الروم في البلقاء في وقعة موتة ، وكانت قوته ثلاثة آلاف مقاتل ، والجيش الذي قاده الرسول بنفسه ليغزو به تبوك ، وقد بالغ المؤرخون في قوته ، وزعموا أنه بلغ ثلاثين الفا ، أما جيش أسامة ، فهو الجيش الثالث ، ونعتمد أن قوته يجب ألا تقل عن خمسة آلاف .

وكان المهاجرون والانصار نواة هذا الجيش . فالمهاجرون والأنصار عماد الجيش الاسلامي ، وهم كالحرس الذي كان يؤلفه الملوك للأعتزاز به في تنفيذ خططهم ، اصلاحية كانت أم حربية

واشترك هؤلاء في غزوات الرسول وحروبه من أولها إلى آخرها . وكانوا يؤثرون النبي على أنفسهم في جميع أعمالهم ، فكان الأسلام متمكناً من قلوبهم ، فلا غرو إذا رأينا الأسلام يقوم على سواعدهم بعد وفاة الرسول ، ولعل عددهم كان يتفاوت بين الألف والخمسمائة وبين الألفين لما توفي النبي .

وكان أكثرهم في جيش أسامة ، ما عدا البعض منهم فانه بقي في المدينة مع أبي بكر ، أو أوفد في حياة الرسول عاملاً أو معلماً أو مبشراً الى الأقطار العربية النائية ، أو جابياً أو معلماً الى القبائل العربية القريبة .

وبقي المهاجرين والأنصار قريش التي أسلمت بعد فتح مكة وأبلت بلاءً حسناً في الاسلام بعد ذلك . أجل ، إنها لبت الدعوة أخيراً وقسراً ، الا أنها اقتنعت أن عز الأسلام من عزها فناصرت الرسول في حياته من أعماق قلبها ، حتى أن الرسول بعد فتح مكة رضي أن يظل البعض من قريش مشركاً حتى يفتح الله قلبه ، ومع ذلك لم يحجم هذا البعض عن الجهاد معه في غزوة صفين أو في محاصرة الطائف .

ولعل القوة التي كانت قريش تستطيع أن تجهزها للقتال زادت على ألفي مقاتل على أقل تقدير .

وبقي قريشاً القبائل الساكنة بين الحرمين ، مكة والمدينة ، وهي التي ناصرت الرسول في دعوته . وقد اشترك بعضها في الغزوات ، وجاهدت أخيراً في حروب الرسول . فقربت هذه الحروب بينها وبين المهاجرين والأنصار وربطتهما برباط متين . فلا مندوحة إذن من أن نرى أبا بكر يدعوها الى الجهاد لما كان جيش أسامة بعيداً عن المدينة ، فلبت دعوته راغبة مطيعة ، وهذه القبائل هي : أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وكعب وغيرها .

ولعل القوة المحاربة في هذه القبائل لم تزد على ثلاثة آلاف .

وتليها قبيلة بنى ثقيف السا كنة بين مكة والطائف وهى خير من أسلم من قبائل الحجاز . واشتهرت بشدة مراسها وصلابة عودها ؛ وكانت تعتز بعاصمتها الطائف المسوَّرة . ولم ترتد ثقيف على ما سبق ذكره ، بل بقيت متمسكة بالأسلام ، وكانت قوتها المحاربة تقدر بأكثر من الفى مقاتل .

هذه خلاصة القوات التى كان الخليفة يعتمد عليها فى محاربته أهل الردة . وقد ظهر لك أنها كانت تبلغ عشرة آلاف متى تيسر جمعها . والواضح أن جيش أسامة بن زيد كان مؤلفاً من معظم المهاجرين والأنصار وبعض رجال القبائل . وذلك لما كان أسامة بعيداً عن المدينة إذ أخذت القبائل المرتدة الواقعة الى شرق المدينة تهددها .

ولعل من الفائدة أن نذكر بهذا الصدد مقدار القوات التى استطاع الرسول أن يجمعها فى حروبه :

كانت قوة المسلمين فى غزوة بدر لا تزيد على ثلثمائة رجل ؛ أما فى غزوة أحد فكانت زهاء الألف ، وفى غزوة الخندق بلغت ثلاثة آلاف .

أما فى فتح مكة إذ ظهرت سطوة الأسلام ، وقويت شوكة المسلمين فكان جيش المسلمين عشرة آلاف ، نواته المهاجرون والأنصار ، وقوامه رجال القبائل الغاربة إلى شرق المدينة وشمالها وجنوبها .

ويزعم الرواة أن جيش الرسول بلغ ثلاثين الفاً فى غزوة تبوك ، كان عشرون الفاً منه رجالاً وعشرة آلاف فرساناً . أجل إن الموقف العسكرى كان ملائماً لمبادرة رجال القبائل إلى الالتفاف حول راية الأسلام للهجوم على بلاد الشام وهى المشهورة بخيراتها ، وذلك يجعل جيش المسلمين يصل الى حده الأقصى ، إلا أننا لا نظن أنه بلغ القوة التى ذكرها الرواة ، ولعلها بلغت أكثر من خمسة عشر ألفاً .

ولما امتنعت القبائل العربية عن أداء الزكاة وارتد البعض منها لم يكن فى وسع الخليفة أن يجمع كل القوات التى يستطيع أن يعتمد عليها على ما سبق بيانه . لأن جيش أسامة كان فى الشمال ، وفيه نخبة الجنود المجاهدين . أما قريش وثقيف فكانتا بعيدتين عن دار الحركات ، لذلك دعا أبو بكر القبائل الضاربة بين المدينة ومكة أولاً ؛ ولما رجع جيش أسامة استنجد به . ثم أخذ رجال قريش وبعض ثقيف ينضمون الى الحملات .

ومن الثابت أن قوة المسلمين كانت جد ضعيفة لما تأهب بنو غطفان وفزارة للهجوم على المدينة ، ولعلها لم تجاوز بضع مئات .

(يتبع)

طه الهاشمى

شركة مصر للغزل والنسج

بناء على قرار الجمعية العمومية غير العادية بتاريخ ٢٠ يونيه ١٩٣٤

قرر مجلس ادارة الشركة أن يطرح للاكتتاب العام

٧٥٠٠٠ سهم

ابتداء من ١٥ أكتوبر ١٩٣٤ لغاية ٣١ ديسمبر ١٩٣٤

بواقع خمسة جنيهات مصرية للسهم الواحد

منها أربعة جنيهات مصرية قيمة السهم الاسمية

وجنيه واحد للاحتياطى

ولهذه الأسهم الحق فى الأرباح ابتداء من أول يناير سنة ١٩٣٥